الحرب الروسية الأوكرانية وأثرها على توازن القوى الدولية

أ. م.د. برهان علي محمد سعيد
جامعة كركوك / كلية القانون والعلوم السياسية
Admin.mjais@uomustansiriyah.edu.iq

مستخلص البحث:

بدأ الغزو الروسي لأوكرانيا في 24 شباط 2022؛ لأسباب سياسية وهي إعادة مكانة روسيا الاتحادية العالمية التي كان يحظى بها الاتحاد السوفيتي السابق، كما واثر على هذا الدور الازدهار الاقتصادي الذي وصلت اليه روسيا الاتحادية، لاسيما في فترة رئاسة فلاديمير بوتين وهي مرحلة اعادة ترتيب توازن القوى الدولي بما يليق بمكانة روسيا العالمية، وتنبع اهمية هذا البحث من أنّ توازن القوى العالمي متغير ومتحرك بما يتلاءم والبيئة الدولية، وتكمن الاشكالية في التساؤل حول تأثير الحرب الروسية الاوكرانية على توازن القوى الدولي، وان افتراض الجواب على السؤال هو ان الحرب سوف تؤثر على نظام توازن القوى إذ ستحصل روسيا الاتحادية على مكانة دور دولي اكبر من دورها الاقليمي الذي لعبته قبل الحرب، هذا فضلًا عن إمكانية رجوع العالم الى الثنائية القطبية أو التعددية القطبيّة في المستقبل المنظور.

الكلمات المفتاحية: روسيا الاتحادية، اوكرانيا، توازن القوى، النظام الدولي.

المقدمة:

بعد انتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي السابق عام 1991، تغير توازن القوى من نظام الثنائية القطبية إلى نظام القطب الواحد المتمثل بالولايات المتحدة الامريكية، وتراجع دور روسيا الاتحادية الدولي تبعه أزمات اقتصادية وسياسية، مما أدى الى تراجع دورها دوليًا. وبعد ان استعادت روسيا الاتحادية عافيتها اقتصادياً نظرا لما تملكه من موارد مثل النفط والغاز وأصبحت المورد الرئيس للطاقة لبعض الدول الأوروبية لاسيما المانيا. فبدأت بتبني مواقف سياسية دولية في طموح لأخذ دورها الأسبق ، فتدخلها في سوريا الذي زامنه قبول الأطراف الدولية دورها في هذا الصراع وخاصةً الولايات المتحدة الامريكية، وبعدها التدخل العسكري في أوكرانيا للحفاظ على امنها القومي ومنع أوكرانيا من الانضمام الى حلف الناتو ومحاولة تحييدها للمحافظة على التوازن الدولي السابق، فاذا ما انضمت أوكرانيا الى الحلف او الاتحاد الأوروبي فان كفة التوازن سوف تكون من مصلحة الغرب على حساب روسيا الاتحادية وهو ما لا ترضاه الأخيرة.

مشكلة البحث:

ينطلق البحث من محاولة الإجابة عن إشكالية رئيسية تتمثل بالسؤال الاتي: هل للحرب الروسية الأوكرانية تأثيرا على توازن القوى القائم؟ وان هدف التأثير هل هو المحافظة ام التغيير؟

فرضية البحث:

تعد الحرب اخر وسيلة من الوسائل الدبلوماسية والتي تستخدمها الدول لتحقيق أهدافها، لا سيما المحافظة على الوضع الراهن المتمثل بالتوازن الدولي، إذ تسعى روسيا الاتحادية في محاولة منها لتحييد أوكرانيا وعدم رجحان كفة الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة الامريكية.

منهجية البحث:

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التحليلي لربط الوقائع مع الأهداف المرجوة من الحرب فضلًا عن المنهج الوصفي لإعطاء صورة واضحة عن التوازن الدولي وكذلك المنهج التاريخي لتسليط الضوء على الخلافات الروسية الأوكرانية.

وسيتم تقسيم البحث الى الاتي:

المبحث الأول: العلاقات الروسية الأوكرانية

المطلب الأول: الخلافات الروسية الأوكرانية

المطلب الثاني: الحرب الروسية الأوكرانية

المبحث الثاني: تأثير الحرب الروسية الأوكرانية على توازن القوى

المطلب الأول: مفهوم توازن القوى

المطلب الثاني: مدى تأثير توازن القوى على الحرب الروسية الأوكرانية.

المبحث الأول

العلاقات الروسية الأوكرانية

ان الجزء الغربي من أوكرانيا كان مرتبطاً قبل الحرب العالمية الثانية بأُروبا الوسطى في الوقت الذي كان موزعاً هذا القسم بين النمسا ورومانيا (بوكوفينا)، بولندا (فولصينا، غاليسيا)، والمجر وتشيكوسلوفاكيا (كاريانيا الغربية)، وكان الاوكرانيون يمتلكون ثقافة سياسية مختلفة عن تلك الموجودة في الاتحاد السوفيتي السابق، وبالأخص الساكنين في منطقة الغرب، وان السوفييت لم ينهوا على تلك الثقافة، فضلًا عن أنّ الجزء الغربي الأوكراني يشترك بحدود مع دول التحقت بالاتحاد الأوربي كما وانها تتبع إقليم غيروسيه ما يجعلها اكثر انفتاحاً على الاتحاد الأوربي من بقية أجزاء أوكرانيا[1].

ان موقف أوكرانيا من الناحية الجيوسياسية، يعد مهم لأمن أوروبا بالرغم من انها ليست عضوا في حلف الناتو لأنها ثاني اكبر مساحة بعد روسيا الاتحادية في أوروبا، واطلالتها على البحر الأسود فتعد حلقة وصل أوروبا الغربية بالشرق، فضلًا عن علاقة أوكرانيا الاقتصادية بروسيا الاتحادية تعد وثيقة، وان الدعم الروسي من 1991 الى 2013 لأوكرانيا بلغ 250 مليار دولار[2].إنّ تأثير أوكرانيا في الثقافة الروسية نتيجة تأثير سياسة الترويس التي كانت تنتهجها روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتي السابق، إذ وطن مواطنين روس خلال المدة (1709-1991)م في أوكرانيا بشكل مباشر وغير مباشر وأصبحت تشكل 17% من مجموع سكان أوكرانيا ولذا استخدمت اللغة الروسية في مناطق عدة في أوكرانيا كما انشأ الروس مدن عدة في جنوب أوكرانيا منها : دنيبر، اوديسا، بيترومنك، ايكاترينوسلاف، ماريوبول، خرسون، وفي القرم سيباستوبول[3].

وقد تناولنا في هذا المبحث الخلافات الروسية الأوكرانية في مطلب أول، والحرب الروسية الأوكرانية في مطلب ثان.

([1]) سعد حقي توفيق، الحرب الروسية الأوكرانية في ميزان العلاقات الروسية الامريكية وآثارها في السياسة الدولية، في كتاب لوحة الجيوبولتيك ترسمها الحروب، تحرير سرمد امين، كلية القانون والعلوم السياسية، الجامعة العراقية، بغداد،2023، ص30.

([2]) فكرت نامق عبد الفتاح، الحرب الروسية الأوكرانية الجذور- التطورات- افاق المستقبل، في كتاب لوحة الجيوبولتيك ترسمها الحروب، تحرير سرمد امين، كلية القانون والعلوم السياسية، الجامعة العراقية، بغداد،2023،ص ص309-311.

([3]) سعد حقي توفيق، الحرب الروسية الأوكرانية في ميزان العلاقات الروسية الامريكية وآثارها في السياسة الدولية، مصدر سابق، ص31.

المطلب الأول

الخلافات الروسية الأوكرانية

من الممكن تسليط الضوء على الخلافات الروسية الأوكرانية وبياناتها وتحديدها من خلال مستويين لإعطاء صورة واضحة تكون اقرب الى الشمولية والدقة بنفس الوقت ويمكن ايجازها بالاتي:

أولا: الخلافات السياسية

بعد اتفكك الاتحاد السوفيتي السابق عام 1991م ، شرع الرئيس الاوكراني (ليونيد كرافتشوك) بإعلان استقلال أوكرانيا وتأكيد هويتها الأوروبية، واختلافها الثقافي واللغوي عن روسيا، مما رجح كفة الميزان لصالح الولايات المتحدة الامريكية ، ففي حقبة التسعينات من القرن المنصرم في عام 1994م قام زبيغنيو بريجنسكي مستشار الامن القومي الأمريكي السابق بتبرير المشاركة الأوكرانية الامريكية بحجة ان أوكرانيا اذا ما كانت قوية سوف تمنع ظهور امبراطورية روسية جديدة ، وهذا يصب في ميزان الامن الأوروبي والامريكي[1].في مؤتمر خفض القوات التقليدية في العاصمة النمساوية فيينا عام 1996م لوحظ ان هنالك تعاون بين أوكرانيا ومولدوفيا وجورجيا واذربيجان، فكانت المبادرات تصب في مساعدة أوروبا على التغلب على الصعوبات في القرن الحادي والعشرين، وفي نفس العام تم الاتفاق على انشاء منظمة غوام وهي تدعو الى امن واستقرار أوروبا الاوراسية ومساندة الديمقراطية وحقوق الانسان، كما ان مشروع الشراكة الشرقية الذي اقترحه الاتحاد الأوروبي الذي عملت أوكرانيا على الانضمام له، وكان من أهدافه محاصرة روسيا الاتحادية وتحييد منطقة الشرق الأوسط عن روسيا، فضلًا عن مخاوف روسيا من دخول سلع أوروبية الى سوقها عن طريق أوكرانيا وتنافس السلع الروسية، كما ان أوكرانيا تعدّ مهمة لروسيا لوجود روابط عرفية وثقافية فهي لا تسمح لانضمامها الى حلف الشمال الأطلسي[2].إنّ توترات الشرق- الغرب التي رسمت معالم الحرب الباردة كانت قد تلاشت، ولكن وفي بداية العام 2014 فإنّ أزمة القرم امتدت لتجذب الغرب وروسيا الى حربٍ باردة جديدة[3].

إنّ طموح الولايات المتحدة الامريكية ظهر واضحا بعد غزوها العراق عام 2003، وفرض شروطها على المجتمع الدولي إذ أخذت وسيلة أحادية الجانب، وعدم اخذ موافقة مجلس الامن لوجود فيتو روسي وفرنسي على الحرب، والتدخل في الشؤون الداخلية للدول، كما وان روسيا تعدّ انضمام أوكرانيا الى الحلف هو تهديد لأمنها القومي مباشرةً[4].

أما أهداف الولايات المتحدة من الازمة الاوكرانية لعام 2014، لاستغلال الازمة الأوكرانية لتشويه صورة روسيا، ومنع تمددها في أوراسيا، ومحاولة إبعاد النفوذ الروسي عن أوربا عبر استقطاب دولها الشرقية في مشاريع اقتصادية وأمنية مختلفة، لضمان عدم تمكن روسيا من استعادة نفوذها في المنطقة مرة ثانية ، أو أقامة تكتلات تضم من خلالها الدول التي كانت في السابق جزءاً من الاتحاد السوفيتي السابق، هذا إذا ما أخذنا بعين

(1) فكرت نامق عبد الفتاح، الحرب الروسية الأوكرانية الجذور-التطورات-آفاق المستقبل، في كتاب لوحة الجيوبولتيك ترسمها الحروب، تحرير سرمد امين، كلية القانون والعلوم السياسية، الجامعة العراقية، بغداد،2023، ص314.

(2) سعد حقي توفيق، مصدر سابق، ص ص31-32.

(3) بول دانييري، أوكرانيا وروسيا من طلاق متحضر الى حرب همجية، ترجمة يزن الحاج، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، قطر، 2022، ص18.

(4) سعد حقي توفيق، مصدر سابق، ص32.

الاعتبار الموقع الجيوستراتيجي لأوكرانيا وغناها بالثروات الطبيعية، فضلاً عن أنّها الممر للغاز الروسي إلى أوربا، ولأشر افها على البحر الأسود[1].

ثانيا: الخلافات الاقتصادية:

إن الخلافات الروسية الاوكرانية حول الطاقة، كانت بوادرها في عام 2008، بسبب مخالفة أوكرانيا للسياسة الروسية، لذلك فقد اوقفت الحكومة الروسية تصدير الغاز إلى أوكرانيا، علماً أن روسيا تقدم تسهيلات إلى أوكرانيا من خلال خفض سعر الغاز المصدر اليها بنسبة (35%) عن السعر الذي يباع إلى أوربا، فضلا عن استفادتها من الغاز المار عبر أراضيها إلى أوربا، والاستفادة من الرسوم التي تدفعها روسيا إلى أوكرانيا. وتمثل أوكرانيا امتداداً طبيعياً للصناعة والزراعة الروسية، فضلاً عن أنها دولة عبور مهمة لصادرات الغاز الروسي نحو أوربا، فعبر أوكرانيا فقط تمر (80 ٪) من صادرات الغاز الطبيعي تجاه أوربا، وطريقاً مهماً لتجارة روسيا نحو أوربا، كما تُعد خطأ دفاعياً أوليا لروسيا[2].ومن الاسباب الاقتصادية الأخرى هو تدخل الولايات المتحدة بعد تدهور الاقتصاد الأوكراني ودعوة الحكومة الأوكرانية لتبني إصلاحات اقتصادية التي من شأنها منع إعادة دمج أوكرانيا في مجال تسيطر عليه روسيا[3].

ان التقارب الأوروبي الاوكراني اثار مخاوف روسيا، وهو ما ينعكس سلبا على العلاقات بينهما وبين أوكرانيا ، فضلًا عن "اتفاقية الشراكة الأوروبية الأوكرانية" المزمع عقدها والتي سوف تؤثر على الأسواق الروسية سلباً، وذلك لوجود الاتفاقية التي تجمع روسيا وأوكرانيا التي تعمل على إزالة الرسوم الكمركية للبضائع في اطار سياسة التجارة الحرة المعتمدة بين البلدين، مما يعني اغراق الأسواق الروسية بالبضائع الأوروبية من غير دفع مبالغ كمركية للحكومة الروسية وهو ما يؤثر على قطاع الزراعة وصناعة السيارات والذي بدوره يؤدي الى انكماش النفوذ الروسي[4].ويرى البعض ان الولايات المتحدة الامريكية هي من صنعت الازمة الأوكرانية لهدف أساسي هو ضرب الاقتصاد الروسي من خلال تقويض صادرات روسيا من الطاقة الى أوروبا، وهو ما حدث سابقا في زمن الرئيس غرباتشوف، عندما انخفضت أسعار النفط بشكل حاد، مما أثر على القدرات الاقتصادية للاتحاد السوفيتي السابق، وأدى الى تفككه في مطلع تسعينات القرن العشرين، ويفترض أصحاب هذا الراي ان الولايات المتحدة تحاول رسم خريطة جديدة للطاقة على مستوى العالم ، للحد من الهيمنة الروسية على سوق الطاقة[5].ويعد النجاح الاقتصادي الذي حققه الرئيس الروسيّ بوتين في روسيا بعد وصوله إلى السلطة مع تزايد نفوذه وشعبيته، داخل روسيا وخارجها، فاصبح الروبل عملة قوية فضلًا عن تقلص البضائع المستوردة، وتزامن ذلك مع ارتفاع ميزانية روسيا بسبب ارتفاع سعر النفط عالميا مما ساهم في تحسين أوضاع موظفيها داخليا، كما وسددت ديونها الخارجية ، فبهذا سعى

([1]) فكرت نامق عبدالفتاح، مصدر سابق، ص317.

([2]) وسيم خليل قلعجية، روسيا الاوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010، ص 298.

([3]) كوثر عباس الربيعي، الازمة الاوكرانية والعلاقات الروسية- الامريكية التاريخ والجيوستراتيجية، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، العدد45-46، 2016، ص158.

([4]) فكرت نامق عبدالفتاح، مصدر سابق، ص316.

([5]) فكرت نامق عبدالفتاح، مصدر سابق، ص316.

بوتين الى استعادة روسيا مكانتها الدولية السابقة وهو السعي الى الثنائية القطبية لإعادة توازن النظام الدولي، وتمسك روسيا بمناطق نفوذ في العالم[1].

المطلب الثاني

الحرب الروسية الاوكرانية

تعدّ أوكرانيا بلدًا مفككًا داخليًا، وتعاني أزمات اقتصادية صعبة ودولة تعداه الى الدين ايضاً، إذ تشهد انقساماً دينيا بين الكنيسة اليونانية الأوكرانية (التي انقسمت اجتماعيا وثقافيا ولا يقتصر الانقسام الاجتماعي في اوكرانيا على اللغة فقط، بل تعترف بالبابا) والكنائس الارثوذكسية الثلاث .. فالكاثوليك الاوكرانيون يتمركزون في أقصى المناطق التاريخية الغربية من جاليسيا وترانسكارباثيا ، بينما يدور الصراع حاليا في الأراضي الارثوذكسية[2]، فضلا عن التشظي والتناحر بين نخبها السياسية، وأصبحت عبنا علي الغرب أكثر منها مكسبا. اما بالنسبة لدونياس فقد أشار الرئيس الروسيّ بوتين إلى المنطقة باسم نوفاروسيا أو روسيا الجديدة، وهو مصطلح استخدمته الإمبراطورية الروسية في القرن الثامن عشر. اما على الصعيد الغربي، فأن أوربا في خضم تغييرات القيادة؛ إذ أنّ المانيا لديها الكثير، من الاستحقاقات الداخلية ذات الأولوية في ظل حكومة ائتلافية ضعيفة، فحاليا لديها مستشار جديد وهو "اولاف شولتز" بعد 16 عاما من تبوء المستشارة انجيلا ميركل السلطة، ولا تزال الحكومة الائتلافية الجديدة تحاول ترسيخ سياستها الخارجية، وفرنسا كانت على موعد انتخابات رئاسية مقبلة هي الأكثر استقطاباً ربما في تاريخها، وباقي دول أوربا تعصف بها الازمات المتتالية، فضلا عن خروج بريطانيا من الاتحاد الاوربي وازمة اللاجئين، واوضاع اقتصادية صعبة خلفها وباء كوفيد -19، كما لا يمكن إغفال أزمة الطاقة التي تعصف بأوروبا في ظل شتاء قارس، ومساومة روسيا التي اشترطت أولا لضخ مزيد من الغاز الطبيعي الى اوروبا، كما ان الانسحاب الفوضوي الامريكي من « i « نورد ستريم 20 » تشغيل خط افغانستان، والاضطرابات الداخلية في الولايات المتحدة هي علامات ضعف، هذا بجانب ان الغرب كان منقسماً بشأن دور الولايات المتحدة في العالم؛ فلا يزال الرئيس الأمريكي جوزيف بايدن يحاول اعادة توحيد التحالف عبر الاطلسي، بعد حالة انعدام الثقة التي تراكمت خلال إدارة الرئيس ترامب، هذا إلى جانب ان الولايات المتحدة،- خلافاً لأزمتها الداخلية والاستقطاب السياسي الحاد الداخلي – أمامها تحدي الصين وسط عدم قدرتها على استعادة قوة تحالفها كما كانت عليه في السابق، ولا شك من أن القيادة الروسية تستغل حالة الضعف، التي تميز الادارة الامريكية الحالية برئاسة(جوزيف بايدن) والتي لم تبذل ما يكفي من الجهود للتصدي لسياسات الرئيس بوتين المعادية للمصالح الغربية في اوراسيا " وخلاصة القول :ان التصعيد الروسي في شباط 2022 لا ينبع من فراغ، وإنما ثمة عوامل أسهمت في تعزيزه، فمن جهة تحسن الوضع الاقتصادي لروسيا، كما انها تمتعت في السنوات الاخيرة باستقرار سياسي في ظل امتلاك قيادتها الارادة السياسية والدعم الشعبي المتمثل بتولي الرئيس فلاديمير بوتين زمام القيادة، وقد عاصر بوتين خمسة رؤساء امريكيين ، ويدرك الازمة التي تعانيها الولايات المتحدة في الوقت الراهن، فمن جهة تعاني من انقسامات داخلية، ومن جهة اخرى تعاني من انسحابات عسكرية من "ساحات القتال" التي خاضتها

(1) سعد حقي توفيق، مصدر سابق، ص35-36.
(2) فكرت نامق عبدالفتاح، مصدر سابق، ص323.

مطلع الألفية الجديدة، احتلالها (افغانستان 2001 ، والعراق 2001) وانسحابها من العراق نهاية عام 2011، وافغانستان عام 2021 كل هذه العوامل خلقت فرص مواتية لروسيا، لتعيد تموضعها في مجالها الحيوي جيوسياسيا وعالميا [1].

إنّ روسيا على المستوى الداخلي قد تمكنت من استعادة مكانتها الدولية، وتبؤها موقع اكثر تقدمًا في النظام الدولي، ذلك من خلال استراتيجية اعادة بناء روسيا من الداخل واعادة مكانتها الاقليمية والدولية، وخلق توازنات ما بين المخاطر والفرص، إذ تمثل ذلك في المقاربة الاساسية في تعزيز وتنظيم عمل المؤسسة العسكرية الروسيّة[2].

لذلك فإن ما يريده بوتين هو فك العلاقات بين اوكرانيا والغرب؛ جاعلا من اوكرانيا دولة محايدة ، على الأقل - أو تحت السيادة الروسية"، وهو هدف لا يمكن تحقيقه من خلال الإقناع وحده فلن يغير الناتو سياسة الباب المفتوح ، فضلا عن ذلك يرى الغرب في أوكرانيا نموذجا للتغيير في المنطقة ، بما في ذلك روسيا ، لذلك لم يجد الرئيس بوتين من الخيارات غير القسرية لوقف مسار اندماج أوكرانيا في المؤسسات الغربية سبيل؛ لذا بدأ في استكشاف خيارات قسرية تتجاوز ضم شبه جزيرة القرم، واحتلال دونياس إلى استخدام القوة العسكرية لإجبار الغرب على تقليل التزامه تجاه أوكرانيا، أو القضاء على قدرة الدولة الأوكرانية على عرقلة روسيا. ويؤكد ذلك ان الادارة الروسية قد ذهبت نحو تقدير ينذر بأن اتجاه المصالح الروسية في خطر فيما يتعلق بالسياسات والسلوكيات التي تنتهجها اوكرانيا، والتي عدها الخطاب الروسي للرئيس فلاديمير بوتين يوم الثلاثاء 15 شباط 2022 بشأن الازمة لاحقاً لاعبا بالوكالة عن الغرب بصفة عام ة، والولايات المتحدة بصفة خاصة لتقويض القوة الروسية، ومن ثم قرار بدء العمليات العسكرية والسؤال لماذا سعت روسيا الى تصعيد الامور في اوكرانيا؟ [3]. إن الاجابة عن هذا السؤال ، تتمثل في إدراك روسيا الاتحادية ان البيئة الحالية الداخلية الروسية- وقتئذ، والأوربية وحتى الامريكية كانت مواتية تماماً لتحركها؛ إذ مثلت التطورات السياسية فرصة لا تعوض بالنسبة لروسيا للتحرك، كما وان علم الجيوبولتيك حسب ما يراه "الكسندر دوغين" فإنّ على روسيا السيطرة على الاماكن المؤثرة في امن الدول والذي اثر على قناعات العديد من اصحاب القرار في الكرملن، وتوجيه انظارهم الى المواقع الحيوية في العالم لاسيما اوكرانيا وسوريا[4].رغم من مد أوكرانيا بالأموال والأسلحة من قبل الغرب إلا أنها ليست في الواقع عضوا في الناتو، وبالتالي لا يمكنها الاعتماد على الدعم العسكري المباشر من الولايات المتحدة وحلفاتها[5]، كما ان أوكرانيا محاطة أيضا بحلفاء ووكلاء روسيا مثل بيلاروسيا، بل محاطة بروسيا نفسها ، وهذا ما يعد مكسباً لروسيا في سعيها للسيطرة على توجهات سياستها الخارجية. اما على الصعيد الروسي فقد عززت روسيا موقعها في الجوار في بيلاروسيا وأرمينيا والآن أيضا في كازاخستان، فقد ضمن الرئيس الروسي لنفسه الحق الدستوري في إعادة الترشح في عام ٢٠٢٤ م مع عدم توقع معارضة داخلية لمساره نتيجة موجة من القمع، فضلاً عن تصوير التعاون العسكري الأوكراني المتزايد

(1) فكرت نامق عبدالفتاح، مصدر سابق، ص324.
(2) غازي ضياء الدين محمود، العلاقات المصرية الروسية وتاثيرها على قضايا الشرق الاوسط، العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2021، ص72.
(3) فكرت نامق عبد الفتاح، مصدر سابق، ص322.
(4) آمال زرنيز، الاوراسية الجديدة وتأثيرها في الفكر الاستراتيجي الروسي، مركز الامارات للدراسات والبحوث، ابو ظبي، 2022، ص13.
(5) فكرت نامق عبد الفتاح، مصدر سابق، ص323.

مع الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وتركيا على أنه تهديد خطير للأمن الروسي، لذلك يمكن اعتبار التدخل الآن أقل تكلفة من التدخل في وقت لاحق، كما ان شبه جزيرة القرم قد ترسخ وضعها داخل الاتحاد الروسي، والمتمردون في شرق أوكرانيا مسيطرون على مواقعهم وسط تنام لقدراتهم العسكرية بفضل دعم موسكو ومساندتها لهم، وقد اخذت بيلاروسيا التي انتهجت موقفا بدأ محايدا من الأزمة الأوكرانية الروسية، وقدمت نفسها لكلا الطرفين بجانب الغرب -وسيطا، حتى إن اتفاقيات السلام التي لم يتم الالتزام بها وقعت على أراضيها عام 2015، وحملت اسم عاصمتها اتفاقية مينسك، تحول موقفها ليصبح مؤيدا بشكل صريح لروسيا، بعدما خرجت التظاهرات الشعبية ضد رئيسها الكسندر لوكاشينكو، ودعم كييف وباقي العواصم الغربية لمعارضيه، وهو ما جعله يشعر بالخيانة حسب وصفه، وبانت روسيا الداعم الوحيد له للبقاء في السلطة[1].

كما وسعت الولايات المتحدة الامريكية على احتواء روسيا وتقييدها بسلسلة من العقوبات الذكية التي طالت عدة مستويات منها الاقتصادية والسياسية ودعوة الرئيس فلاديمير بوتين الى انهاء القطبية الاحادية[2].

اما الأهداف الاستراتيجية الروسية بعيدة المدى :تتمثل بالاتي[3] :

1-استعادة روسيا مكانتها الدولية :

لدى روسيا رغبة معلنة لاستعادة مكانتها كدولة عظمى بعد تراجعها، اذ انتقد الرئيس بوتين في خطابه بمؤتمر ميونخ للسياسات الأمنية في شباط عام 2007 م للنظام احادي القطبية، الذي تقوده الولايات المتحدة، تدشينا لدور روسي جديد في النظام الدولي" ، فقد عادت روسيا في الأعوام الأخيرة إلي الساحة الدولية بشكل نشيط ، وقامت بحركات مؤثرة في قضايا وأزمات متنوعة ومتعددة الأبعاد والمستويات فانغمست بشكل مباشر في بعضها كفاعل رئيس كما هو الحال في الأزمة الأوكرانية ، خاصة منذ قرار ضمها لجزيرة القرم عام 2014، ودخلت كطرف مساند في قضايا أخرى مثل كل من الأزمة السورية والأزمة الفنزويلية، كما حاولت تأدية دور الوسيط أو المسهل لمسار سياسي وهو ما سعت إليه في أزمة ضرب الناقلات في الخليج وأزمة سد النهضة .

2-تحقيق الهيمنة الإقليمية على الجمهوريات السوفيتية السابقة:

كان لتفكك الاتحاد السوفيتي السابق في نهاية عام 1991 تبعات سلبية شديدة لاتزال بصماتها واضحة على التوجه الروسيّ، ومن أبرز تلك التبعات فقدان روسيا عدد من الجمهوريات السوفيتية وقتئذ وكان بعضها يمثل ظهيرا قويا لروسيا، فضلا عن التداعيات الجيوستراتيجية لتقلص المساحة الجغرافية وبالتالي انكماش العمق الاستراتيجي للدولة لذلك سعت روسيا لأثبات نفسها بوصفها لاعباً فعالاً على رقعة الجغرافية السياسية والجيوستراتيجية عالمياً، واقليميا في منطقة كثيراً ما عدت ضمن المجالات تهديد هذه المصالح بشكل فعلي، فإن روسيا وجدت نفسها مضطرة لإستخدام القوة بهدف الحيوية للأمن القومي الروسي، وبالتالي وفي ظل حق السيادة وحماية الامن القومي، فإذا تم اجهاض محاولات كهذه في خطوة عدها الخطاب الروسي ضربة استباقية، اذ تهدف روسيا الى استعادة نفوذها على مجالها الحيوي سواء من خلال السيطرة المباشرة على

(1) فكرت نامق عبدالفتاح، مصدر سابق، ص324.
(2) خضر عباس عطوان، العلاقات الامريكية الروسية بعد الحرب الاوكرانية، المجلة العراقية للعلوم السياسية، كلية العلوم السياسية ، جامعة النهرين، العدد8، حزيران، 2023،ص15.
(3) فكرت نامق عبدالفتاح، مصدر سابق، ص25-26.

مساحات من الأرض، أو اعادة فرض الهيمنة، ما يفسر سعى روسيا للحيلولة دون اندماج أوكرانيا ثاني أهم جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وقتئذ مع الغرب[1].

3- التصدي لتهديدات الغرب لأمنها القومي:

لقد كان رد الفعل الروسي في التعامل مع الأزمة الأوكرانية في شباط 2022 ولجوئها إلى القوة العسكرية رد فعل طبيعي، لما أدركته القيادة الروسية من التهديد الواقع على المصالح الروسية الماثلة في الأراضي الأوكرانية؛ فقد أرجع الرئيس بوتين انهيار اتفاق شباط 2014 إلى مؤامرة غربية تسعى إلى تحجيم القوة الروسية، والقضاء على القواعد العسكرية الموجودة في القرم في ميناء سيفاستبول، كما أن تنصيب حكومة موالية للغرب بعد عزل الرئيس الموالي لروسيا، جعل الرئيس بوتين يرسم سيناريوهات تأول جميعها إلى جذب أوكرانيا ناحية الغرب، وجعلها قوة معادية للنظام الروسي في محيطها الإقليمي، كما رأى الرئيس بوتين أن هذه الحكومة سوف تتحرك وفقاً لأهواء الغرب، التي تسعى إلى القضاء على الدور الروسي الطموح والعمل على قمع الأقليات الروسية، خاصة بعد إصدار الإعلان الدستوري الخاص بإلغاء اللغة الروسية كلغة ثانية للبلاد ، وجعل اللغة الأوكرانية هي اللغة الأساسية، ومن هنا كان الإدراك الروسي لمدى الخطر الذي يتهدد نفوذها الإقليمي، ومحاولة من الحكومات الغربية لخلق حكومات موالية لها في المحيط الخلفي لروسيا[2].علاوة على ذلك تعد روسيا توسع الناتو شرقاً تهديداً أمنياً صريحاً ينبغي مجابهته لأن ذلك يأتي ضمن استراتيجية غربية تهدف إلى احتواء التهديدات الروسية المحتملة، إذ كان الناتو يعمل على توسيع نفوذه في أربع مراحل من انضمام دول أوروبا الشرقية للحلف، حدثت كلها خلال عهد الرئيس بوتين، تمثلت في ضم دول البلطيق وسلوفاكيا وسلوفينيا ورومانيا وبلغاريا عام 2004 ، وكرواتيا من الجانب الآخر، تهدف اوكرانيا الى عضوية) وألبانيا عام 2009، والجبل الأسود عام 2017، ومقدونيا الشمالية عام 2020 منظمة حلف شمال الاطلسي والاتحاد الاوربي، اذ ترى ان مستقبلها مع الأوربيين، فانضمامها سيوفر لها الكثير من المزايا الاقتصادية التي يقدمها الاتحاد الاوربي، أما الانضمام الى حلف شمال الاطلسي، سيوفر لها المظلة الامنية وحماية وجودها، وحتى التفاوض مع روسيا بخصوص نزاع دونياس والقرم ، ولعل هذه نقطة الخلاف الاهم مع روسيا التي ترى أن ذلك تهديد استراتيجي لأمنها القومي، ويضعفها جيواستراتيجياً بحيث تتراجع محددات ومكونات جغرافيتها السياسية والاقتصادية ، ف(الناتو) على هذا النحو سيكون بالقرب من روسيا[3]. كما وان الغرب في موقف صعب وليس لديه امتيازات كبيرة في مواجهة هذه الحرب وهو يسعى الى حمل روسيا على ايقاف هذه الحرب وتغيير الوضع الاقليمي الراهن القائم[4].

اما الاهداف المباشرة للعملية:[5] لقد أعطى الرئيس بوتين نفسه مجموعة من الخيارات لتحقيق حالة أوكرانيا المحايدة أو العاجزة ،إذ يعد أساس منهجه هو القوة العسكرية لروسيا ، ويأتي بعدها الجانب الاقتصادي والتجسس ، أو التدخل عبر الهجمات الإلكترونية؛ فبينما الحرب هي المسار الذي اختاره الرئيس بوتين بالفعل ، لذلك لا يمكن أن تكون حربا

(1) فكرت نامق عبدالفتاح، مصدر سابق، ص325-326.
(2) فكرت نامق العاني، مصدر سابق، ص326.
(3) المصدر نفسه، ص327.
(4) بول دانييري، مصدر سابق، ص291.
(5) فكرن نامق عبدالفتاح، مصدر سابق، ص327.

صغيرة، فإن الحد الأدنى للأهداف هو الإطاحة بالحكومة الأوكرانية ، وعلى ذلك حددت روسيا مجموعة من الأهداف للعملية العسكرية منها تنصيب زعيم موالي لروسيا من أجل:

1- السيطرة على إقليم الدونياس بكامله، وخلق طريق بري يربط روسيا بشبه جزيرة القرم، وفرض حصار بري وبحري على أوكرانيا، وتدمير عتادها العسكري في إطار قرار روسيا الذي أعلنه الرئيس بوتين بنزع سلاحها بالقوة، وسيطرة القوات الخاصة الروسية على عدة جيوب مهمة وحيوية في الداخل الأوكراني.

2- اظهار ضعف وعجز الولايات المتحدة والغرب عن حماية أوكرانيا، أو التدخل العسكري المباشر لإزالة الأوهام، التي سوقت لها الحكومة الأوكرانية وحلفاؤها بأن الغرب يقف خلف كييف.

3- تحريك الشارع الأوكراني ضد الحكومة الحالية وإسقاطها، وتولي حكومة موالية لها تتفاوض معها، أو التوصل إلى اتفاق مع الغرب ، يفضي إلى تقديم حكومة كييف طلبا تعلن فيه تخليها عن الانضمام إلى الناتو، ونزع سلاحها، وجميع قدراتها النووية التي تمكنها مستقبلا من صنع قنبلة، وتحولها إلى دولة محايدة، مقابل تعهد من موسكو بالحفاظ على وحدة أراضيها .

وخلاصة الأمر أن الرئيس الروسي يرى أن هيكل التوازن الأمني الحالي غير مقبول وخطير بالنسبة لروسيا؛ لأنه يظهر سلسلة من العلاقات العسكرية والسياسية والاقتصادية القوية بين أوكرانيا والغرب ، والذي هو معاد بشكل أساسي لروسيا كما ترمز عضوية أوكرانيا المحتملة في الناتو إلى المعضلة الأمنية التي يتصورها الرئيس بوتين على حدوده الغربية[1].

المبحث الثاني

تأثير الحرب الروسية الأوكرانية على توازن القوى

بعد نهاية حرب الثلاثين عام وقعت معاهدة وستفاليا عام 1684م فظهرت الدولة القومية بكل مؤسساتها، وبدأ نظام توازن القوى الدولي بتنظيم العلاقات في هيكل النظام الدولي، فمثلت عدة دول اوروبية هذا النظام، وكانت بريطانيا تمثل الدولة الحاملة للميزان، وما زال استمرار بعض الدول التي تريد الاحتفاظ بمكانتها الدولية وتدعم المحافظة على توازن القوى السائد، واخرى تحاول الحصول على مكانة اعلى في ترتيب النظام الدولي، فتقوم الدول بالتوازن ضدها للمحافظة على النظام السائد، وهو ما نراه الان من سياسة روسيا الاتحادية الخارجية التي تحاول فيها استعادة مكانتها في النظام الدولي كما كان الاتحاد السوفيتي السابق، واعادة الثنائية القطبية. وسوف نتناول هذا المبحث في مطلبين، إذ تطرقنا الى مفهوم توازن القوى في مطلب اول، ومدى تأثر توازن القوى بالحرب الروسية الاوكرانية في مطلب ثانٍ.

(1)فكرت نامق عبد الفتاح، مصدر سابق، ص322.

المطلب الأول

مفهوم توازن القوى

يمثل توازن القوى الوسيلة الأمثل لتجنب الحروب والحفاظ على الامن ، وان كانت هذه الوسيلة هي الفطرة التي مارسها الانسان منذ قديم الزمان، كما ان الحالة الطبيعية التي تمارسها الدول للحيلولة من عدم سيطرة احدى الدول الكبرى على العالم ، الا وهو التوازن فيما بينها[1] . ويمكن تعريف التوازن لغةً "هو التعادل والتساوي ويقال هذا يوازي هذا، اذا كان على زنته او محاذيته"، كما ويدل "بأنه نقطة تعادل بين قوتين متعارضتين ، وانه افتراضية سياسية دولية مقصودة لذاتها باعتبارها أداة لحفظ الاستقرار الدولي"، وارتبط المفهوم "بسياسة القوى في العلاقات الدولية، باعتباره أداة تنظيم الصراعات الدولية او تنظيم صراعات القوى بحيث يسود الاستقرار في المجتمع الدولي"[2].

ويعرفه فينيليون "بأنه اجراء تتخذه دولة لمنع جيرانها من ان يصبحوا أقوياء بدرجة كبيرة، لان تضخم امة لما وراء حدود معينة يغير من النظام العام لجيرانها من الأمم الأخرى.. او هو العمل على استمرار شكل من اشكال المساواة والتوازن بين الدول المجاورة"[3]. ويعطي ستوبس "بأن الدول تكون ملتزمة بالمحافظة على توازن يحمي الطرف الضعيف من الانسحاق بسبب اتحاد الأقوياء، وهو مبدأ يضفي وحدة على الخريطة السياسية للتاريخ الأوربي المعاصر"[4]. ان التوازن بين القوى الفاعلة هو لتجنب الحروب وعدم تمكين القوى العظمى من السيطرة، إذ ان الدول الكبرى غالباً ما تبتلع الدول الصغيرة، فتلجأ الأخيرة الى التحالف مع دول فاعلة وتكوين تكتل يقف بوجه طموح القوى العظمى من السيطرة والتفرد والتحكم في الدول الأخرى[5].

ويمكن تصور ان التوازن يفترض وجود كفتين[6]:

ا- كيفية توزيع عناصر القوة ومكوناتها في التوازن الاقتصادي والعسكري والثقافي.

ب- هيكل القوى: ويشمل شكل النظام الدولي الذي يحدده التوازن (متعدد الأقطاب، ثنائي القطب، احادي القطب)، والهرمية ونوع القيم السائدة من الحفاظ على التوازن او التغيير او التعديل).

ان أساس تحقيق هدف استقلال الدولة في ظل الهيمنة وفي حالة تصور وجود نظامين للقوى على سبيل المثال، فمن خلال المساواة يمكن منع او تفوق احدى القوتين على الأخرى بناءً على منهج توازن القوى، وان تعدد أساليب توزيع القوى مقترن بعدد الدول في النظام الدولي، او بعبارة أخرى فان الدولة او الدول المتحالفة لا تزيد على قوة جميع الدول الأخرى مجتمعة[7].

---

(1) سعد حقي توفيق، مبادئ العلاقات الدولية، ط4، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، 2009، ص223.

(2) يونس مؤيد يونس، أدوار القوى الاسيوية الكبرى في التوازن الاستراتيجي في اسيا بعد الحرب الباردة وافاقها المستقبلية، اكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، 2015، ص40.

(3) مايكل شيهان، توازن القوى التاريخ والنظرية، ترجمة احمد مصطفى، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، 2015،ص120.

(4) المصدر نفسه، ص13.

(5) مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة حسن نافعة، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1986، ص75.

(6) يونس مؤيد يونس، مصدر سابق، ص41.

(7) مايكل شيهان، مصدر سابق، ص14.

ومن هنا نرى اذا حاولت دولة او بعض اطراف التوازن من تغيير الوضع الراهن وترجيح الكفة لصالحها فانها ستواجه في المقابل مقاومة من الأطراف المتضررة، اذ تتوازن الدول لكبح جماح الطرف الذي يريد الهيمنة، ومن هنا فقد تطورت ردة فعل الدول المتوازنة، فسابقاً كان يترجم هذا الاجراء الرادع بالحرب العسكرية او الحصار او العزلة، اما الان ونظراً للتطور الحاصل وعلى جميع الأصعدة وخاصة الالكترونية والتكنولوجية وحتى في أدوات وتقنيات الحرب العسكرية من الطائرات المسيرة والأسلحة الذكية، واستخدام الكثير من الأطراف المتوازنة العقوبات الذكية بأنواعها المختلفة لدفع الطرف الذي يريد التغيير الى العدول عن موقفه، وان كانت هذه الأساليب الذي يعدّها بعض منظري العلاقات الدولية بأنها لا تكبح الدول لكنها على الأقل تؤخرها فترة من الزمان مما يعطي وقتاً اضافياً للدول المتوازنة في اتخاذ الإجراءات كافة في الحفاظ على الوضع الراهن.

المطلب الثاني

مدى تأثر توازن القوى بالحرب الروسية الاوكرانية

ان ديناميكية عمل النظام الدولي، المنظومة الدولية او النسق الدولي بإعادة التوازن الدولي والوصول الى الاستقرار بعد كل تغييرات تحدث في موازين القوى الدولية المتغيرة، فهنالك اطراف يصيبها الوهن الاقتصادي او السياسي نتيجة مؤثرات البيئة الخارجية او البيئة الداخلية او كليهما، مما يؤدي الى تراجع هذا الفاعل من مستوى الفعالية الدولية الى مستوى الفعالية الاقليمية، او من المستوى الاقليمي الى دولة صغرى، وفي هذا الجزء من البحث سوف نحاول التركيز وتسليط الضوء على الفعالية الدولية من المستوى والمستوى الدولي وإعادة تشكيل توزان القوى الدولي في اطار النسق الدولي، ومن وسائل البيئة الدولية نذكر منها ما يلي:

اولا :الوسائل السياسية في خلق توازنات:

العلاقات الصينية الروسية في ابعادها العسكرية والسياسية والاقتصادية، نمت بشكل كبير خلال العقدين الماضيين وتطورت الى شراكة تنسيق استراتيجية شاملة فقد ادت التطورات الدولية الرئيسة مثل التحول في سياسية الولايات المتحدة تجاه آسيا، وتوسع الناتو في المحيط الغربي لروسيا دفعهما الى تبني شراكة استراتيجية ترتكز على مدركاتهما للتهديدات المشتركة، اذ تنظر روسيا والصين إلى نفوذ الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة على أنه يتعارض مع مصالحهما الوطنية وتهديدا لنفوذهما ومكانتهما الاقليمية، وان الولايات المتحدة الامريكية تنتهج استراتيجية احتواء مزدوجة ضد روسيا من خلال توسع حلف شمال الأطلسي، وضد الصين من خلال استراتيجيتها في منطقة المحيطين الهندي والهادئ من جهة اخرى[1] .وبناء علي ما تقدم تجد روسيا في علاقتها مع الصين دعما لاستراتيجيتها "الاوروواسيوية" لمواجهة توسع النفوذ الغربي المتمثل بحلف شمال الاطلسي، وبرزت الصين بوصفها المركز لسياسة روسيا الخارجية والأمنية المحورية في آسيا، لاسيما وأن العقوبات الغربية أدت إلى أن تسعى روسيا إلى إعادة توجيه اقتصادها بعيدا عن أوروبا، وفي سياق تطوير نهجها الإقليمي، سعت روسيا إلى توسيع سياساتها بما يتجاوز الاعتماد طويل الأمد على القوة العسكرية لممارسة نفوذها

(1) ابراهيم حردان مطر، مأزق روسيا الجيوبولتيكي: جيوبولتيكا الطموح، في كتاب لوحة الجيوبولتيك ترسمها الحروب، تحرير سرمد امين، كلية القانون والعلوم السياسية ، الجامعة العراقية، بغداد، 2023، ص394.

من خلال الاستثمار في الدبلوماسية وتعزيز العلاقات الاقتصادية اذ انخرطت روسيا بشكل أكبر مع الهيكل الإقليمي الحالي لآسيا والمحيط الهادئ، ولا سيما(الآسيان ومنتدى التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ)، من اجل المساعدة في تعزيز التعددية القطبية كما ان الرفض المعلن من قبل الصين وروسيا الاتحادية لقواعد النظام الدولي الراهن والذي صاغته الولايات المتحدة الامريكية، اذ تجد فيه نفور وعدم رضا ويخدم المصالح الامريكية المتطلعة الى منع صعود اي دولة تشكل تهديدا لدورها العالمي[1] .

فضلا عن ذلك تجد روسيا في مبيعاتها من النفط والغاز الى الصين، تنويع لسوق تصريف منتجاتها، بدلا من اعتمادها على السوق الأوربية التي تواجه تحديات سياسية وما يترتب عليها من اشكالية العلاقات الروسية مع الدول الغربية في الوقت الذي تجد الصين ايضا تنويع لمصادر امداداتها من الطاقة، اذ وصلت واردات الصين من البترول الروسي في العام 2020 نحو 1,67 (مليون برميل يوميا) وهي بهذا في المرتبة الثانية بعد المملكة العربية السعودية ، كما توجد اتفاقيات بين الطرفين لبناء مشاريع لنقل الطاقة من روسيا إلى الصين منها الاتفاقية الموقعة في العام 2009 ، بطول 1056 كم، وتم الانتهاء منها في العام 2011 ، اذ تحصل الصين على نحو 25% من احتياجاتها النفطية من روسيا[2].

ثانيا :التحول الى توازن اقتصادي عالمي جديد:

مع تصدع العلاقة بين روسيا والغرب، فإنّ للأزمة تداعيات هامة على مكانة روسيا في جوارها القريب، وكذلك على هيكل النظام الدولي ومستقبله. التحول لنظام اقتصادي عالمي جديد، اذ شهدت السنوات الأخيرة خطوات جادة من جانب روسيا والصين لإنهاء الهيمنة الأمريكية على الاقتصاد العالمي . اذ ارتبط صعود الأخيرة مطلع القرن العشرين، الذي بات يعرف بالقرن الأمريكي، بالنمو السريع في الاقتصاد الأمريكي، وسعيها إلى ترجمة قوتها الاقتصادية الضخمة إلى نفوذ سياسي واستراتيجي عالمي، والتراجع الحاد للاقتصادات الأوروبية المنافسة في أعقاب الدمار الذي لحق بأوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي مكنها من بسط سيطرتها على الاقتصاد العالمي من خلال مجموعة من الآليات، منها إنشاء البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، وأهمها وأكثرها تأثيراً اعتماد الدولار في كافة التعاملات المالية والتجارية وعلى مدى ما يزيد عن سبعة عقود سيطر الدولار على ، (بريتون وودز) المعاملات المالية والتجارية عالمياً فيما عرف بنظام المعاملات التجارية في العالم وجري تسعير معظم السلع بالدولار وفي مقدمتها النفط، وكذلك الأسهم، والاحتياطات المالية في مختلف دول العالم، مما جعل حركة سعر الدولار صعودا وهبوطا تحدث هزات اقتصادية عالمية متفاوتة الشدة والتداعيات، بل إن اتجاه الأموال حول العالم يرتبط ارتباطا مباشرا في الأعم الأغلب من الحالات بقيمة الدولار وسعر الفائدة التي يحددها مجلس الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي، وهو الأمر الذي ظهر جليا عندما بدأ الأخير في تحريك سعر الفائدة على الدولار[3].

إلا إن هيمنة عملة واحدة على المعاملات الدولية يعد استثناء لا سابق له في التاريخ، ولاشك أن حلحلة وضع الدولار كعملة عالمية مهيمنة ستؤثر حتماً على الاقتصاد الأمريكي، وتفقد واشنطن أداة هامة للتأثير الدولي، وتعد مؤشر قوى على التحول باتجاه

([1]) ابراهيم حردان مطر، مصدر سابق، ص394.

([2]) المصدر نفسه، ص 395.

([3]) نورهان الشيخ، الازمة الاوكرانية ومستقبل النظام الدولي، في كتاب لوحة الجيوبولتيك ترسمها الحروب، تحرير سرمد امين، كلية القانون والعلوم السياسية ، الجامعة العراقية، بغداد، 2023، ص447.

نظام اقتصادي عالمي جديد. وقد أدت التطورات المصاحبة للحرب في أوكرانيا إلى إعطاء دفعات قوية إلى هذا التوجه، ربما استغرقت عقوداً أطول لولا العقوبات المفروضة على روسيا. فقد اعتمدت روسيا والصين سياسة التخلي عن الدولار في التعاملات الاقتصادية الدولية، وتعزيز اعتماد الروبل واليوان وغيرها من العملات الوطنية في التداول، صحيح أن عدد من دول العالم قد بدأ في تنمية احتياطات من اليوان باعتباره عملة المستقبل، وكان هناك تبادلات بين روسيا وعدد من الدول بالعملات الوطنية ومنها الصين والهند وتركيا ودول الاتحاد الأوراسي وغيرها، إلا إن قيام الشركات الأوروبية بالدفع بالروبل مقابل الغاز الروسي، والتوسع في استخدام العملات الوطنية مع الشركاء التجاريين لروسيا سرع من وتيرة التخلي عن الدولار ووضع الروبل في مكانة اقتصادية غير مسبوقة كعملة تداول وتقييم دولي، والى جانب التحول السريع في معاملاتها التجارية نحو استخدام العملات الوطنية تتخذ روسيا خطوات جادة لإنشاء أنظمة مصرفية ومالية مستقلة عن نظام (سويف) الدولي للخدمات المصرفية الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة، والذي تم اقصاءها منه في إطار العقوبات المفروضة عليها، وفي هذا الإطار أطلقت روسيا عام 2018 منظومتها المالية التي تشبه نظام (سويفت) وقامت بربطه بنظيره الصيني[1]. تأتي المساعي الروسية السابقة في سياق دولي مواتي، فقد كثرت الدعوات للابتعاد عن العملة الأمريكية في التجارة الخارجية والحد من هيمنة الدولار على الاقتصاد العالمي نظرا لسياسة العقوبات التي تتبعها واشنطن وحرب التعريفات الجمركية التي تنتهجها مع دول العالم، فالصين تسعى كذلك لفك ارتباطها الكبير بالدولار، وأطلقت بورصة عالمية في شنجهاي للطاقة .يتم تداول عقود النفط وأعلنت تركيا عن عزمها استبدال الدولار في تعاملاتها فيها بالعملة الصينية، في خطوة وصفت بضربة قوية للبترودولار التجارية بعملتها المحلية أو اليورو أو اليوان، ودعت دول مجلس تعاون البلدان الناطقة بالتركية إلى استخدام عملاتها الوطنية في التجارة فيما بينها. كما أعلن العراق انتقاله إلى عملات أخرى مثل اليورو في التجارة البينية خاصة في مجال صادرات النفط، وتحاول فنزويلا وباكستان وغيرهما من الدول تقليل الاعتماد على الدولار في إطار توجه أصبح شبه عالمي. بل واتجه الاتحاد الأوروبي، الشريك الأساسي للولايات المتحدة، أيضاً إلى تقليص الدولار في التجارة البينية، للحد من هيمنة العملة الأمريكية على التجارة العالمية، وتعزيز دور اليورو حيث أدت الحروب التجارية التي أطلقها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى خسارة الاتحاد الأوروبي مئات الملايين من الدولارات، ودعا رئيس المفوضية الأوروبية آنذاك، (جان كلود يونكر)، في كلمته للبرلمان الأوروبي، إلى ضرورة تجريد العملة الأمريكية من صفة العملة العالمية الرئيسية، وأشار إلى أن أوروبا تسدد 80 ٪ من واردات الطاقة بالعملة الأمريكية، مؤكدا أن العملة الأوروبية اليورو يجب أن تصبح الوجه والاداة لاوروبا الجديدة في إشارة إلى اتساع دائرة التحدي الدولي للدولار والتغير الهيكلي في النظام الاقتصادي العالمي[2].من ناحية أخرى، طالت تداعيات العقوبات الغربية على روسيا فارضيها، واشنطن وحلفائها الأوروبيين، الذين لم تتعافى اقتصاداتهم من تداعيات أزمة "كوفيد19" بعد . ولعل التأثير المباشر كان على أسعار السلع الغذائية والطاقة سواء الغاز أو البنزين، فقد ارتفعت أسعار البنزين في الولايات

(1) المصدر نفسه، ص448.
(2) نورهان الشيخ، مصدر سابق، ص448.

المتحدة إلى مستويات تاريخية ووصلت إلى حوالي 6 دولار في المتوسط وما يرتبط بذلك من تضخم وضغوط على المواطن . وتبدو الأوضاع أكثر تعقيداً في أوروبا فهناك نقص واضح في عدد من المواد الغذائية الأساسية مثل الكويت والدقيق وغيره وارتفاع غير مسبوق في سعر الغاز إلى 2200 دولار لكن الف متر مكب الامر الذي سيؤثر على الانتاج ومعدلات النمو في العديد من الدول الأوروبية، وحذر تقرير صادر عن مكتب الاحصاء الاتحادي الالماني، من ارتفاع معدلات التضخم في البلاد إلى 7,3% في مارس العام الماضي .هذا إلى جانب تأثر قطاع الإنتاج بسبب ارتفاع أسعار الطاقة وتقليل العرض والطلب تأثرا بظروف التوتر السياسي والأمني في أوروبا بوجه عام العام[1].

وان التوجه الروسي الى الصين في مجال تصدير الطاقة والقطع التدريجي للغاز الروسي الى اوروبا الغربية وجد البديل لروسيا ولم تجد اوروبا الغربية من البدائل الدائمة وانما اقتصرت الى حلول مؤقتة[2].

ثالثا: توازن مرن في النظام الدولي:

أدت الأزمة إلى الاتجاه نحو حالة من الاستقطاب المرن في النظام الدولي ليس على أساس أيديولوجي كما كان عليه الحال في فترة الحرب الباردة، ولكن على أساس مصلحي، فرغم الضغوط الأمريكية الشديدة على العديد من الدول لاتخاذ موقف إدانة واضح تجاه روسيا وفي مقدمتهم الصين والهند، والانتقادات الأمريكية والأوروبية التي وصلت حد التهديد أحياناً، فإن الدولتين وغيرهما رفضوا الاستجابة وأكدوا الحرص على استمرار التعاون مع روسيا انطلاقاً من المصالح الحيوية التي تربط الطرفين، مما خلق حالة كانت قائمة من قبل ولكن ليس بمثل هذا الوضوح بين مجموعتين من الدول. الأولى تحافظ جاهدة على النظام الدولي ذات الوضعية الأمريكية المهيمنة وتناصب روسيا العداء المعلن والصريح، وتضم الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وشركائهما . أما الثانية، فتقودها روسيا والصين، وتسعى إلى نظام متعدد القوى أكثر توازناً وعدالة، وإنهاء الغطرسة الأمريكية التي تهدد الأمن والاستقرار في العالم من وجهة نظر الدولتين .وكان هذا واضحاً خلال عملية التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرارات الإدانة لروسيا، والتي ظهر فيها الانقسام بين المجموعتين، وصحيح إن الأولى انخرط فيها عدد أكبر من الدول إلا إن الثانية تضم دول ذات ثقل ديموغرافي و اقتصادي واستراتيجي لا يمكن إغفاله[3].على صعيد اخر، ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكيّة حاولت توظيف الأزمة لعزل روسيا وتقويضها سياسياً و اقتصادياً، فإن ما تقوم به روسيا في أوكرانيا، وموقفها السابق في أوسيتيا الجنوبية، عزز من مكانتها كقوة كبرى لاسيما في الفضاء السوفيتي السابق وكونها شريك وحليف يعول عليه، وهو ما تجلى في موقفها من كازاخستان ثالث أهم الجمهوريات السوفيتية السابقة بالنسبة لروسيا، بعد أوكرانيا وبلاروسيا، والعضو المؤسس في منظمة معاهدة الأمن الجماعي والاتحاد الاقتصادي الأوراسي ومنظمة شنجهاي، واذ قاعدة بايكونور الفضائية الروسية وحوالي 20 ٪ من السكان من الروس . فقد اتهمت موسكو الغرب بالوقوف وراء الاحتجاجات التي اندلعت في كازاخستان مطلع العام 2023، وخرجت عن السيطرة يوم 5 كانون الثاني في «

---

(1) نورهان الشيخ، مصدر سابق، ص449.

(2) عمار قدورة، السياسة الخارجية التركية الاتجاهات، التحالفاتالمرنة، سياسة القوة، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، قطر،2021،ص147.

(3) نورهان الشيخ، مصدر سابق، 449.

آلماتى » ، العاصمة الصناعية للبلاد، واعتبرت الاحداث محاولة من الغرب لتقويض أمن وسلامة كازاخستان بالقوة باستخدام تشكيلات مسلحة مدربة ومنظمة، مؤكدة إنها لن تسمح بثورة ملونة مرة اخرى[1].ويفسر هذا التحرك الروسي السريع والحاسم تحت مظلة منظمة معاهدة الأمن الجماعي إذ تم إرسال قوات لحفظ السلام، روسية بالأساس، لتأمين المنشأت الحيوية في كازاخستان خاصة في العاصمة نور سلطان . وكان للدعم الروسي دور رئيس في سرعة تعافي كازاخستان واستعادة الأمن والاستقرار في البلاد في غضون أسبوع وبدء انسحاب قوات حفظ السلام لمنظمة معاهدة الأمن الجماعي، بدء من يوم 13 كانون الثاني . وقد أنطوى السلوك الروسي في الأزمة الكازاخية ومن قبلها الأزمة في بلوروسيا حين اندلعت الاحتجاجات في أعقاب الانتخابات الرئاسية بدعم غربي واضح، على رسالة مباشرة مفاداها أن موسكو لن تسمح بزعزعة نفوذها عبر الإطاحة بالنظم الصديقة لها في دول الجوار، وأن ما حدث في أوكرانيا وجورجيا لن تسمح بتكراره تحت أي دعاوى، الأمر الذي يفاقم حالة الاحتقان مع الغرب الذي يجعل من نشر الديمقراطية وحماية حقوق الانسان شعاراً لتحقيق مصالحه[2]. إلا إن سعى روسيا لضمان نفوذها ومصالحها في الفضاء السوفيتي السابق وحماية الروس في الجمهوريات السوفيتية السابقة لا يعني بالضرورة سعيها لإحياء الاتحاد السوفيتي السابق بصيغته التقليدية، أو أن يكون التدخل العسكري نمط متكرر لحماية الروس على النحو الذي أشارت إليه بعض المصادر فيما يتعلق بجمهورية ترانسنيستريا التي تطالب بالانفصال عن مولدوفا ويمثل الروس المجموعة العرقية الأكبر فيها بنسبة (٣٤ ٪)إن روسيا تحاول تعزيز نفوذها وروابطها مع دول الفضاء السوفيتي، وتتحرك في هذا الاطار على قدمين : الاقتصادية ممثلة في الاتحاد الاقتصادي الأوراسي، والعسكرية ممثلة في منظمة معاهدة الأمن الجماعي التي تعد حلف سياسي عسكري يضم ست من الجمهوريات السوفيتية . إن موسكو تدرك أنه لا يمكن إعادة عقارب الساعة للوراء، ولا يمكن سلب الجمهوريات السوفيتية استقلالها السياسي الكامل بالصيغة السوفيتية، ولكن يمكن تطوير أطر تحقق الهدف دون انصهار سياسي كامل[3].

الخاتمة:

ان القرار الروسي بدخول اوكرانيا هو في حد ذاته بمثابة اعلان عن انهيار حالة التوازن العسكري التي حكمت اوروبا منذ تفكك الاتحاد السوفيتي السابق، وبناء على ذلك فأنه سيكون من الضروري عند انتهاء الأزمة -أيا ما كانت النتيجة – ان يتم وضع معاهدات جديدة تعبر عن الواقع الجديد الذي ستعيشه اوروبا وربما العالم كله ، وعلى ذلك سنحاول في هذا الموضع من الدراسة وضع احتمالات مستقبلية بشأن العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا، فضلا عن مستقبل النظام الدولي برمته ، فبخصوص العملية العسكرية الروسية في اوكرانيا فهنالك سيناريو اول وهو الانسحاب الروسي من اوكرانيا وعدم تحقيق الاهداف المرجوة منه، اما السيناريو الثاني فيرجح نزع سلاح اوكرانيا وتقسيم المدن الشرقة لاوكرانيا طوليا وضمها لروسيا او عمل انتخابات تقرير المصير، والسيناريو الثالث وهو بدء مفاوضات بين الطرفين وعقد اتفاقيات ومعاهدات ومن الممكن

(1) نورهان الشيخ مصدر سابق، ص450.
(2) المصدر نفسه، ص450.
(3) نورهان الشيخ مصدر سابق، ص450.

من ضمنها عدم انضمام اوكرانيا للاتحاد الاوروبي او حلف الشمال الاطلسي، اما السيناريو الرابع فهو ربح روسيا في الحرب وتنصيب نظام موالي لها في اوكرانيا.

اما فيما يخص نظام توازن القوى الدولي فان النظام العالمي الجديد الذي اسمته الولايات المتحدة الامريكية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق فيلاقي عدم مقبولية سياسيا واقتصاديا في العالم لا سيما في اوروبا الغربية ايضا، وهنا لابد من الاشارة الى الاحتمالات المتوقعة لتغيير نظام توازن القوى الدولي الحالي، فالاحتمال الاول يرجح بقاء التوازن الدولي الحالي والمتمثل بنظام احادي القطبية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية، اما الثاني فيجح عودة الثنائية القطبية المتمثلة بالولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية، اما الاحتمال الثالث والذي ممكن ان نعدّه هو المرجح فهو نسق دولي متعدد الاقطاب بين الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية والصين.

المصادر:

1- آمال زرنيز، الاوراسية الجديدة وتأثيرها في الفكر الاستراتيجي الروسي، مركز الامارات للدراسات والبحوث، ابو ظبي، 2022.

2- ابراهيم حردان مطر، مأزق روسيا الجيوبولتيكي: جيوبولتيكا الطموح، في كتاب لوحة الجيوبولتيك ترسمها الحروب، تحرير سرمد امين، كلية القانون والعلوم السياسية، الجامعة العراقية، بغداد، 2023.

3- بول دانييري، أوكرانيا وروسيا من طلاق متحضر الى حرب همجية، ترجمة يزن الحاج، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، قطر، 2022.

4- خضر عباس عطوان، العلاقات الامريكية الروسية بعد الحرب الاوكرانية، المجلة العراقية للعلوم السياسية، كلية العلوم السياسية ، جامعة النهرين، العدد8، حزيران، 2023.

5- سعد حقي توفيق، الحرب الروسية الأوكرانية في ميزان العلاقات الروسية الامريكية وآثارها في السياسة الدولية، في كتاب لوحة الجيوبولتيك ترسمها الحروب، تحرير سرمد امين، كلية القانون والعلوم السياسية، الجامعة العراقية، بغداد،2023.

6- سعد حقي توفيق، مبادئ العلاقات الدولية، ط4، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، 2009.

7- عمار قدورة، السياسة الخارجية التركية الاتجاهات، التحالفات المرنة، سياسة القوة، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، قطر،2021.

8- غازي ضياء الدين محمود، العلاقات المصرية الروسية وتاثيرها على قضايا الشرق الاوسط، العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2021.

9- فكرت نامق عبد الفتاح، الحرب الروسية الأوكرانية الجذور- التطورات- افاق المستقبل، في كتاب لوحة الجيوبولتيك ترسمها الحروب، تحرير سرمد امين، كلية القانون والعلوم السياسية، الجامعة العراقية، بغداد،2023.

10- كوثر عباس الربيعي، الازمة الاوكرانية والعلاقات الروسية- الامريكية التاريخ والجيوستراتيجية، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، العدد45- 46، 2016.

11- مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة حسن نافعة، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1986.

12-مايكل شيهان، توازن القوى التاريخ والنظرية، ترجمة احمد مصطفى، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، 2015.
13-وسيم خليل قلعجية، روسيا الاوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010.
14-نورهان الشيخ، الازمة الاوكرانية ومستقبل النظام الدولي، في كتاب لوحة الجيوبولتيك ترسمها الحروب، تحرير سرمد امين، كلية القانون والعلوم السياسية، الجامعة العراقية، بغداد، 2023.
15-يونس مؤيد يونس، أدوار القوى الاسيوية الكبرى في التوازن الاستراتيجي في اسيا بعد الحرب الباردة وافاقها المستقبلية، اكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، 2015.

The Russian-Ukrainian war and its impact on the international balance of power

Prof. Dr. Burhan Ali Muhammad Saeed
Kirkuk University / College of Law and Political Science
Admin.mjais@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract:

The Russian invasion of Ukraine began on February 24, 2022 AD for political reasons, which was to restore the international status of the Russian Federation that the Soviet Union enjoyed. This role was also affected by the economic prosperity achieved by the Russian Federation, especially during the presidency of Vladimir Putin, which was a phase of rearranging the balance of power. Internationally, in line with Russia's global position, and the importance of this research stems from the changing global balance of power and its movement in a manner consistent with the international environment. The problem lies in the question about the impact of the Russian-Ukrainian war on the international balance of power, and the assumption that the answer to the question is that the war will affect the balance of power system, as the Russian Federation will gain a greater international role than its regional role that it played before the war. This is in addition to the possibility The world will return to bipolarity or multi polarity in the foreseeable future.

Keywords: Russian Federation, Ukraine, balance of power, international system.